

المفاهيم المشتركة لمعان ذي مراتب متعددة مثل كلمة «العلم» التي تشمل «علمه تعالى سبحانه» و«علم الإنسان العادي» . . . «وهذا يدل على فصاحة القرآن وبلاغته وشموليته للمعاني وللدلالات الكثيرة على طول الزمن . . .»^(١) .

٤ - شأن النزول في الآيات :

قدّم المؤلف في مقدمة تفسيره آراءه حول شأن النزول في الآيات بوضوح وشفافية قائلاً: « . . . مع أن شأن النزول في الآيات يساعد المفسر في فهم الآيات ولكن لا يمكن أن نجعل هذا ملاكاً لمعرفة الآيات كلها؛ لأن فهم الآيات يُستفاد من نفس الألفاظ في الدلالات القرآنية مستقلاً . . .»^(٢) .

إن إذعان المفسر في مورد شأن النزول الآيات، لفهم الآيات وتبينها، مع أنه مبنًى على تمحور تفسير القرآن بالقرآن، ولكن في الوقت نفسه هو يستند في فهم الآيات إلى موردين وعنصرين: الأول هو تعارض الروايات في شأن النزول، والثاني كونها تطبيقية، حيث يضعف هذان العنصران دور شأن النزول في فهم الآيات^(٣) .

معرفة النسخ - وسير تدوين التفسير بدءاً وختماً :

دُوّن هذا التفسير من خلال محاضرات تدريسية لطلبة العلوم الدينية في حوزة النجف وقم حيث بلغ عدد صفحاتها بحدود ١٧٠٠٠ صفحة من القطع الوزيري، وقد تم نشره في العراق ولبنان والحجاز وإيران، واستمرت كتابة

(١) الفرقان ج ١ ص ٣٢ .

(٢) الفرقان ج ١ ص ٥٠ .

(٣) تفسير الفرقان، ج ٩، ص ٢٧ .

هذا التأليف حتى عام ١٣٩٧ق، والبداية كانت في بيروت عبر مؤسسة (الأعلمي ١٣٩٥)، ومؤسسة الوفاء عام ١٤٠٧ق ومن ثم نُشر وطُبع في قم بواسطة انتشارات «فرهنگ إسلامي وأيضاً بالقطع الوزيري».

٣ - تاريخ قصص الأنبياء والإسرائيليات فيها:

بالنسبة للتاريخ والقصص التي ترتبط بسيرة الأنبياء والرسل، فإن المفسر لم يأخذ بصحتها وذلك لورودها عبر روايات عديدة، بينما الأصح هو أن يكون عبر كتاب الله الكريم. «فلنسكت عما سكت الله» ولا ندخل في التفاصيل والجزئيات... فما ورد في بعض الروايات، لا اعتبار لها ولا يمكن الأخذ بها وحتى أن بعضها تُحسب من الروايات الإسرائيلية^(١).

إن هذا التفسير مخالف حتماً لناحية إدخال الروايات الإسرائيلية في تفسير القرآن، لأن فيها أبعاداً سلبية حتى ولو كانت أسنادها صحيحة ومعتبرة ولذلك اختار المؤلف في تفسيره أسلوب «تفسير القرآن بالقرآن» متجنباً الوقوع في مثل هذه المزالق^(٢).

٤ - المباحث الاجتماعية:

يهتم هذا التفسير اهتماماً كبيراً بالنسبة للموضوعات الاجتماعية. فيطرح إلى مواضيع عديدة ما بين اقتصادية وحقوقية، ويتناول بشكل دقيق دور المرأة وقضية تعدد الزوجات إضافة إلى الأنظمة الاجتماعية ومسألة الشورى والوحدة وغيرها. فيطرح الملاحظات الكثيرة حول المفاهيم والآراء نقداً وتأيداً^(٣).

(١) الفرقان، ج ١ ص ٣٥.

(٢) الفرقان ج ١ ص ٢٠-٢١.

(٣) الفرقان ج ٤ ص ١٦٣.

٥ - الاتجاه الشيعي في التفسير:

إن هذا التفسير؛ تفسير شيعي إمامي بحث، حيث يتوجه ناحية المذهب الشيعي^(١) ولكن في الوقت نفسه يتخذ المؤلف موقفاً محايداً تجاه المذاهب والآراء التفسيرية والفقهية والكلامية وغيرها. فهو يرتئي بأن التعصب والتقليد، ليس تفسيراً ومذهباً قرآنيّاً، بل هو رأي شخصي. فهو عند اعتماده أسلوب تفسير القرآن بالقرآن والروايات الموافقة لها لم يفرق بين الروايات المنقولة من الشيعة أو السنة. بل على العكس في ذلك فهو يجمع بين آراء الاثنين، محاولاً انتقادها بأسلوب سلسٍ ومرن.

النظرة الكلية والعامّة للمصنف:

١ - نسخ القرآن:

تتضمن عملية النسخ نوعين:

نسخ القرآن بالقرآن

ونسخ القرآن بالسنة

فالمفسر يقبل النسخ في المورد الأول، في موارد خاصة كحكم النجوى وحدّ الزنا وكيفية الحرب مع الكفار، في حين أن مؤلف تفسير الفرقان، يرفض النسخ بالسنة. لأن حكم الناسخ يبطل حكم المنسوخ والقرآن غير قابل للبطلان^(٢).

إن هذا الإذعان من شأنه أن يوسع دائرة البحث في الردّ والنقد حول النسخ والروايات المعارضة (حتى الروايات المنصوصة) فيها مع عموم القرآن وخاصها.

(١) الفرقان ج ٣٠ ص ١٥.

(٢) الفرقان، ج ١ ص ٣٩.

٢ - ظهر القرآن وبطنه:

يعترف مفسر الفرقان كسائر المفسرين بأن للقرآن ظهر وبطن. لأن الروايات التي وردت فيها متواترة. مع أن خلود القرآن وإعجازه يقتضي أن يكون للقرآن بطون، فالمفسر هنا يقدم أو بالأحرى يستحدث تعريفاً بديعاً وجديداً حول «البطن والظهر».

إن مؤلف كتاب الفرقان، ومن خلال استفادته من رواية رُويت عن الإمام علي عليه السلام يشير إلى أن لبيان القرآن سطوح ومراتب؛ إحداها ظاهرة والثلاث الباقية ترتبط ببطن القرآن (الإشارات، واللطائف والحقائق)، والدرجة الأخيرة هي التأويل التي يختص فهمها للوحي ^(١).

أما المرتبتان الأخيرتان، فلهما درجات وشؤون من المعاني نعرفها بعنوان بطون القرآن - كما وردت في الروايات - وهدفها كشف معاني القرآن ورفع الإبهام عند القارئ (أرجو الدقة).

إن كتاب الفرقان يكتب: «..» ^(٢).

٣ - المحكم والمتشابه في القرآن:

إن مفسر الفرقان رحمته الله يذهب في تفسيره، بأن «المتشابه» ليس من مقولة الدلالة. مستفيداً بذلك من رواية عن الرضا عليه السلام حيث يقول: «المتشابه ما اشتبه علمه على جاهله» ولذا لا يكون لمفردات القرآن قصور أو تقصير في دلالاتها على المقصود. فالآيات ومفرداتها، تدل على المراد بكل وضوح، كما يؤكد ويركز في هذا التفسير عليها ^(٣).

(١) الفرقان ج ١ ص ٥١.

(٢) الفرقان ج ١ ص ٥٤.

(٣) الفرقان ج ٢٧ ص ١١٨ وج ٣٠ ص ٣٠.

٤ - التأمل في التعابير والتدبر في الكلمات :

يهتم مفسرنا كثيراً باستخدام المفردات والكلمات وكيفية الاستفادة منها وخاصة في نوعية طرحها للهداية (كما هو هدف القرآن). لأن هذا هو المفتاح الوحيد لفهم الآيات وتفسيرها. ونذكر مثلاً لفهم هذا الموضوع: إننا عندما نقرأ ونوجه الخطاب القرآني بكلمة «يا أيها» كما هو الأمر في سورة البقرة في الآية ٢١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي﴾ نرى أن كلمتي ﴿يَا أَيُّهَا﴾ و﴿النَّاسُ﴾ تتضمن معنى ظريفاً بأن ﴿النَّاسُ﴾ هم البعيدون عن الله قبل عبادته (سبحانه) ونفهم هذا من كلمة (يا) التي وضعت للنداء البعيد - كما هو واضح في علوم العربية^(١).

٥ - جعل القرآن ملاكاً لفهم غرض الآيات لا آراء المفسرين :

هناك ظاهرة أخرى لمنهج تفسير الفرقان، ألا وهي عدم الاعتماد على آراء المفسرين في موضوع فهم القرآن وخاصة إذا كانت بعيدة عن القرآن نفسه. فالمفسر **رَحْمَةُ اللَّهِ** من خلال التدبر في مفردات القرآن وتركيبات كلماتها، تجده يفسر الآية مباشرة وبمساعدة آيات أخرى؛ أو بالاستعانة بالروايات الصحيحة فيها. نعم فهو ينقل في بعض الأحيان بعض الآراء أو ينتقدها في مجاله ولكن بأسلوبه هو، أي الإلهام من كتاب الله لناحية فهمه وعدم الالتفات لآراء المفسرين. . حيث يؤكد المفسر في مكان ما من تفسيره، بأن آراء المفسرين، هي آراء شخصية بحيث يتم التفسير كلُّ بحسب رأيه الخاص به^(٢).

بالرغم من أسلوب تفسير القرآن بالقرآن الذي اعتمده المؤلف فإن هذا

(١) الفرقان ج ١ ص ٢١٤.

(٢) الفرقان ج ١ ص ٣٠٩ وج ٣٠ ص ٦.

الأمر لا يُلغى حتماً صحة الاستفادة من الروايات خاصة تلك التي تتضمن تفسيراً روئياً فقد يستشهد المفسر ببعض الروايات لتوضيح بعض المفاهيم في الآيات وكذلك أبعاد معانيها الواسعة التي لا تنحصر بزمان دون آخر. ولا ننسى أيضاً في هذا السياق الاستفادة المفسر من الروايات في شأن النزول أيضاً^(١).

إن المعيار والميزان في فهم الآية يعتمد على الآية نفسها ودور الرواية فيها وهو تأييد المنطوق والمفهوم فيها لتوسعة دائرة دلالة المفاهيم. وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن، مع الأخذ أيضاً من الروايات للاستيحاء من محتويات القرآن المنفتحة والملهمة الثرية. وهذه نقطة إيجابية أخرى لهذا التفسير.

٦ - بحث فقهي استدلالی :

هناك تفاسير أخرى مثل تفسير القرطبي، يطرح المباحث الفقهية ولكن الفرقان؛ برغم طرحه للمباحث نفسها من آيات الأحكام، إلا أنه يركز على «فقه القرآن» فهو يهتم كثيراً بالمباحث الفقهية الاستدلالية فيركز على الأسلوب والمنهج الاجتهادي من خلال التتبع والتدبر في المفاهيم والتعبير واستنطاقها حسب قواعد اللغة الأدبية والبلاغية، لفهم حُكم شرعي من خلال مفردات الآيات وكذلك ينقح الروايات جرحاً وتعديلاً، سنداً ودلالة ليستخرج منها حكماً إلهياً، وفق منهج فقه القرآن بالقرآن، وبنتيجة هذا المنهج اكتسب تفسير الفرقان مركزاً مهماً في الفقه القرآني.

يشير المفسر في مقدمة التفسير إلى أهمية هذا المنهج، بمعنى أنه لو لم يطرح الفقه القرآني من خلال المباحث القرآنية، لبقيت الآيات الفقهية في

(١) راجع الفرقان ج ٥ ص ٢٧٥ ج ٣٠ ص ٢١ و ٢٥.

كتاب الله غير واضحة. ولذا عمد مفسر الفرقان؛ إلى إدخال وإدراج مباحث وروايات جديدة في الفقه القرآني.

٧ - تعدد المصادر في هذا التفسير:

من مميزات هذا التفسير هو التنوع والتعدد في منابعه ومصادره التي يستفيد منها المفسر. فمن خلال تتبعنا لذلك، حصلنا على النتائج التالية:

ألف - بلغت المنابع والمصادر الحديثية المعتمدة في هذا التفسير بحدود ٨٠ مأخذاً بما فيها من الصحاح ومسانيد أهل السنة وأدعية أهل البيت عليهم السلام إضافة لصلتها الوثيقة بفهم القرآن الكريم. فمن خلال تركيز المفسر على الأحاديث المعتبرة والتي لم تخالف القرآن؛ لم يهتم بالجانب السندي (التركيز على كونها موثوقة الصدور، لا أنه يصدر من الثقة - حسب المصطلح الموجود في علم الحديث والدراية) لا بل استفاد المفسر في بعض الأحيان من بعض المصادر التي لا استحكام فيها من حيث السند.

ب - المصادر التفسيرية:

بلغت المصادر التفسيرية التي اعتمد عليها المؤلف في تفسير الفرقان حوالي ٢٥ تفسيراً؛ حيث تم استخدامها في نقد آراء المفسرين الآخرين ومن بين هذه التفاسير: الثقلين، والدر المنثور، وتفسير القمي، والبرهان الذي يعتمد في القرآن على الروايات. وأما تفسير الفخر الرازي، والمنار، وصدر المتألهين، والميزان، وطنطاوي فهي من التفاسير التي اهتم مفسرنا في الفرقان بنقل المطالب أو نقدها منها مثل ج ٦ ص ٣٦٧.

ج - المصادر اللغوية: هناك مجموعة من كتب اللغة استعان بها المفسر في تفسيره ألا وهي: لسان العرب، القاموس، المصباح، تاج العروس، مفردات الراغب، ونهاية ابن الأثير.

نذكر هنا بأن مفسر الفرقان يدرّس اللغة في مباحثه اللغوية بصورة عامة

وغير مقيدة ومستندة إلى منابع معينة، كما أنه لا يذكر مصادر هذه الكتب غالباً.

د - المنابع المتفرقة:

وصل عدد هذه المنابع والمصادر إلى أكثر من ٦٠ مصدراً من الكتب والمقالات والدراسات في الموضوعات المختلفة حيث تجد فيها الكتب العلمية والتاريخية والموسوعية (دائرة المعارف) وبعض المجلات والصحف ذكرت أغلبها لتأييد نظرية تفسيرية وفي بعض الأحيان نُقلت لنقد الكتاب ومستنداتهم في ظلال الآيات والمفاهيم القرآنية.

٨ - الاستفادة والاستعانة بكتاب العهدين باللغة العبرية:

من إحدى مميزات تفسير الفرقان، والتي لا نظير لها هي الاستفادة من المتون العبرية في كتاب العهدين. والهدف من نقل هذه المطالب هو أولاً التأييد للمفاهيم القرآنية وصحة حقائقها وإخبارها من البشارات حول النبي محمد ﷺ^(١) وثانياً الاستناد إلى التناقضات والتحريفات التي وقعت في كتاب العهدين^(٢).

٩ - الإبداع والتحديث

إن تفسير الفرقان، وصل في دراساته إلى إبداعات ونظريات جديدة ومبتكرة ولاسيما في دراسات فقه الأحكام، سواء كانت هذه النظريات صحيحة أو لا. لأن المهم هو فتح آفاق جديدة أمام القارئ من نظريات واحتمالات. ولتوضيح هذا المثال نشير إلى نموذج بأن المفسر يذكر جميع الآيات التي وردت حول «العلم» في نسبتها إلى الله في مجرى الزمان؛ مثل

(١) الفرقان ج ١ ص ٣٦١.

(٢) الفرقان ج ١، ص ٣٤٣.

«علم الله» و«يعلم الله» وغيرها، فلم يذهب (لم يقبل) مؤلف الفرقان، بأن معنى «العلم» هنا هو «المعرفة». بل هي من مصدر «العلامة»^(١).

وفي مبحث وموضوع العصمة (عصمة الأنبياء) فللمؤلف نظرية ثالثة في قبال نظريتي العصمة وعدم العصمة. فهو يذهب في دراسته إلى أن النبوة بعنوان عهد ومسؤولية ربانية لأنبياء أولي العزم، وهذا يستلزم حتماً العصمة وأما في أنبياء آخرين مثل آدم عليه السلام فلا ضرورة للعصمة^(٢).

فالمفسر في مسألة «الخلق والأمر والمادة والتجرد» يعتقد بأن المجرد الواقعي هو الله وحده^(٣).

وكذلك في مسألة مُبطلات الصوم، فإن له نظرية في أن شرب الدخانيات لا تبطل الصوم^(٤).

فمن خلال قراءتنا لهذا التفسير نواجه مثل هذه الآراء النادرة، أو الشاذة غير مسبوقة في نظريات الآخرين من المفسرين. ولا شك في أنها تحتاج إلى النقد والإشكال.

١٠ - المواصفات والمشخصات المشتركة لهذا التفسير مع التفاسير الأخرى:

نشير في هذا القسم من الدراسة ومن خلال ما تقدم إلى بعض خصائص ومناهج تخص هذا التفسير ومن بينها:

١ - السياق والتناسب

لم يهتم مفسر الفرقان، بسياق الآيات كثيراً، وخاصة أنه لا يستفيد منها

(١) الفرقان ج ٢٧ ص ١٢٩.

(٢) الفرقان ج ١ ص ٣٢٤.

(٣) الفرقان ج ١ ص ٢٩.

(٤) الفرقان ج ٣ ص ٦٩-٧٠.

لتفسير الآيات عادة. فهو عندما يتطرق إلى آية أو مجموعة منها، لا يركز بالاستدلال أو الابتناء لنظرية تفسيرية من خلال ترابط الآيات وتناسبها. إلا أن يكون الارتباط والتنسيق بين القبل والبعد شديداً جداً فهو ربما يستفيد منها لناحية المفهوم التفسيري إلى جانب مبادئه الأصلية في المنهج التفسيري.

إن المفسر في تفسيره (الفرقان) يعتبر بأن «ترتيب الآيات» في القرآن وحيانية وتوقيفية؛ مثل تنزيلها فهي ترتبط بالله تعالى وليس بأشخاص وجهات وحتى النبي ﷺ (١).

فهو يحدّد ترتيب السور في القرآن من الله تعالى كما هو الأمر كذلك في التنزيل. فلذلك فإن التنسيق بين الآيات أو السور أمر طبيعي وغير مردود ولكن فهم هذا الترابط والتنسيق فيها لا يُستوعب غالباً مع أنا لا يمكننا أن ننكر أنه في بعض الأحيان يمكن أن نصل بالتدبر والتدقيق إلى دلائل هذا الترابط؛ لأن ترتيب هذا الكتاب وتبويبه لا يكون جزافياً أيضاً.

٢ - القراءات

فيما يتعلق بموضوع القراءات نلاحظ بأن مفسرنا يعتقد بتواتر القراءة الموجودة في القرآن - الذي هو بين أيدينا - غير آبه بتعدد القراءات. فحينما يطرح المفسر آراءه لنقد مذاهب المعتقدين بتعدد القراءات، فإن مرد ذلك يعود إلى أن تلك الآراء وتلك الروايات تشير إلى قراءات مختلفة وهي غير متواترة وغير مرسومة لدى المسلمين عامة (٢). إلا أن المفسر يقبل قراءة «آل ياسين» (في سورة الصافات)، محتجاً بأن القراءة المتواترة هي قراءة «آل ياسين»، مع أنه حسب تأييد الروايات لصحة قراءة الهمزة الممدودة يؤيد هذه القراءة أيضاً مع وجود اختلاف في المعنى والمفهوم بين القراءتين.

(١) الفرقان ج ١ ص ١٥١-٢٢٩.

(٢) الفرقان ج ١ ص ٩٨.